شـــــــــــوقى وحافظ

لحضرة صاحبـــة العصمة السيدة ف . ع

حضرة الأستاذ الفاضل صاحب المعرفة :

تحية وبعد : لعلكم تذكرون هذا الحديث الذى دار بيننا عن مكانة المرأة من الأدب، بحضور حضرة شاعرنا المجيد الأستاذ الهراوى صاحب الفضل الأكبر على شعر الطفولة وأناشيدها وغير ذلك ؛ وكم كان حضرته متحمساً لأن يثبت أنه يوجد عندنا (أى بمصر) أستاذات فى العلوم والتربية ، ولـكن لاتوجد شاعرات أو مشتغلات بالأدب أسوة بنهضة الرجل فى ذلك .

ومن حسن الاتفاق أنى حصلت على مسودة لدرة شعرية لسيدة فضلى من كرائم الأسرات العريقة فى الفضل والأدب إلى جانب ما انفردت به من رسوخ قدم فى رفع لواء العدالة ؛ ونيلها القدح المعلى فى استقامة القسطاس فى مصر. وإنى أبعث إلى مجلة « المعرفة » الغراء بهذه الخريدة من شعر هذه السيدة الشاعرة المطبوعة ، لأؤكد لحضرة الأستاذ الهراوى أن هناك مئات من الشاعرات والأديبات تظلهن القصور العالية ، وتتـكدس أعمالهن الأدبية فى مكتبات تلك القصـور حتى يحين الوقت الذى يستطيع المجتمع المصرى أن يستمتع بشىء منه .

وإنى لا أ ذكر أنى قرأت أو سمعت ـ فيما قرأت وسمعت من رثاء حافظ وشوقى والإشادة بفضلهما على الأدب وتلخيص مجهودهما ورثائها الحار وإيفائها حقهما من الشـكر فى إيجاز وسلاسة وأمانة ـ مثلما رأيت فى هذه القصيدة .

وإنى أرجو أن تـكون فاتحة موفقة لأن نحصل على قصائد أخرى لحضرة السيدة، فإنى أعلم علم اليقين أن لدى حضرتها الشىء الـكثير فى مختلف المعانى، ورجاؤنا ألا تضنوا علينا بذلك خدمة للأدب.

منصفة

***

خطب دهى مصراً فأعيا الشعر والأدبا ... وزاد فى القلب نيران الأسى لهبا

هوت لهول مصابيها النجوم أسى ... وخلّفت مسرح الأفلاك مضطرباً

شوقى وحافظ بانا عن خمائلها ... فمن يعيد إليها الأنس والطربا؟

أطيار بعدهما أنات ثاكلة ... تقول : كانا نخار الروض واحتجبا

مضى الذى استنزل الإلهام يبعثه ... فى سلسل من غير الفكر قد عذبا
يا مُرسَلا فى ديار الخلد إنك بالـ ... ـوحى القديم شفيت الداء والعطبا
أثكلت مصراً وبغداداً وأندلسا ... والشام والفرس والأتراك والعربا
ياموت! يكفيك ماجرعت من غصص، ... يا موت! حتى السجايا تقتنى سَلَبا؟
فى القلب والجفن جرح غير مندمل ... قلب جريح ودمع بالدم انسكبا
أستغفر الله لا كفراً ولا جزعاً ... كلا، وهل حيلة فى رد ما كتبا؟
هى المقادير لا تجرى لنيل منى ... ولا لدفع قضاء الله إن قربا

***

فقيدُ مصر فقيدُ الشرق أجمعه ... يشاطر الشرقُ فيه الغربَ منتحبا
ما شب إلا حرّياً بالإمارة فى ... باب الملوك وإن لم يؤتها نسباً
أو شاب إلا أميراً بالنبوغ وما ... من شاعر قبله قد أحرز اللقبا
قالوا: جرير، فقلنا: لا يضارعه ... ولا طراز جرير منه قد قربا
وإن غلت (أسواق علا) فى معارضه ... أسواق« أحمد[1] » كانت كلها ذهبا
ما أجمل الدر نظما فى قلائده ... وأبدع الزهر منثوراً إذا كتبا
قد كان يملأ جو الشرق مفخرة ... بين الشعوب وكان البالغ الأربا
عنه يسرى كل نازلة ... وكان يهتز فى أفراحه طربا
قومية نهضت فى غرة سطعت ... بنورها يهتدى من ينشد الأدبا
نقد، ووصف، وتهذيب، وتسلية، ... فوق المسارح زادت أمره عجبا
قد مثلت فى خيال الشعر مملكة ... أحيا بها الفرس والأتراك والعربا
شوقى وحافظ كانا الرافعين لو ... اءَ المجد للشرق أنى للعلا ذهبا
كم أمدا النشء فى تكوين نشأته ... وهيأا للهدى نحو السها السببا

(١) إشارة إلى كتاب المرحوم شوقى بك المسمى «أسواق الذهب» وهو من خير ما كتبه فى النثر

وأغنيا اللغة الفصحى وما برحا مهذّبَيْن بها الأقلام والكتبا
حتى أطاعا وشيكاً أمر ربهما وأورثا النيل فخراً جاوز الشهبا

* * *

إن يعقب الأول الثانى فلا عجب فما عهدناهما إلا قد اصطحبا
علىّ دين لكل منهما ، أينى ضعفى به ، وهو يعيى الأيّد الأربا ؟
كلاهما قد رثى لى « درة » نزعت منى بدرة فكر زانت الأدبا
« من لى بفضل بيان أستعين به » على رثاء يؤدى بعض ما وجبا !!

* * *

إن التراب لمن أجسام من سبقوا وخلّفوا الدمع هطالا ومنسكبا
يصيب منه نبات الأرض نضرته لوناً وشكلا ويجلو حسن ما اكتسبا
هو الغذاء الذى نما عناصره هو الحياة التى من مائها شربا
فقوته من قلوب طالما نعمت وشربه من جمال طالما عذبا
ولم تفز غير أرواح لها صعدت وغادرت دونها الأفلاك والشهبا
فالله أكبر فى كينونة نزعت منا الخلود وفيما الله قد وهبا
وفى قضاء وفى عيش وفى قدر وفى احتمال الأسى فى أن يقال خبا

* * *

فى ذمة الله فى فردوس رحمته شوقى وحافظ من بدرين قد غربا
إن يخشيا ضجعة الأحجار دونهما فمن جدود تحيى فيهما النسبا
أو يخشيا ضجعة والترب فوقهما فمن قلوب ولكن مزقت إربا
عليهما رحمات الله دائمة دوام غيث على قبريهما صببا
إليهما من دعاء الشعب أطيبه ما أحزنا مصر والأهلين والصحبا

ف . ع